مفهوم "المواضعة" بين التراث العربي واللسانيات الحديثة
قراءة من خلال كتاب "التفكير اللساني في الحضارة العربية"*

الطالبة:كيبيش مريم
جامعة يحي فارس المدية، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018/07/31 تاريخ القبول:2018/12/26 تاريخ النّشر:2018/12/15

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى التعرف على المفهوم الذي يحمله مصطلح "المواضعة" في التراث العربي من خلال كتاب "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، ثم مقارنته مع مفهوم هذا المصطلح في اللسانيات الحديثة، لاستجلاء مدى تطابق المفهومين.

وقد توصل البحث إلى أن أعلام التراث العربي قد استوعبوا مفهوم المواضعة ودورها في اللغة استيعابا جيدا، وتوصلوا من خلالها إلى عدة مفاهيم أخرى، كمفهوم الاعتباطية، ومفهوم الشيفرة، كما أنها كانت بمثابة أحد الأسس التي اعتمدوها في بناء قوانين لغتهم. وكان مفهوم المواضعة في التراث العربي يقترب من مفهومها في اللسانيات الحديثة إلى حدّ التطابق.

Abstract:

This research seeks to identify the concept of "convention" in the Arab heritage through the book "Linguistic Thinking in Arab Civilization" and then compare it with the concept of this term in modern linguistics to find out the extent to which the two concepts are identical.

The research found that the great figures of the Arab heritage have absorbed the concept of convention and its

role in the language well, and they reached through it to several other concepts, such as the concept of arbitrary, and the concept of code. Also it was one of the foundations that they adopted in building the laws of their language. The concept of convention in the Arab heritage was approaching its concept in modern linguistics to the extent of conformity.

1- **مقدمة:**

لقد حظيت اللغة باهتمام الإنسان منذ القدم، إذ إن جذور الدرس اللغوي تغوص في الأعماق السحيقة للتاريخ، ولا يخلو أي موروث حضاري من بحوث لغوية ، وتعتبر الحضارة العربية من أهم الحضارات التي عكفت على دراسة اللغة وحاولت كشف أسرارها وسبر أغوارها، فقد تناول العلماء العرب جميع جوانب لغتهم بالبحث والدراسة والتحليل، وخلّفوا موروثا لغويا قيّما.

وبما أن المصطلحات مفاتيح العلوم، فإن معرفة مدى تطور الدرس اللغوي في الحضارة العربية يقودنا إلى دراسة مدى نضج جهازه المصطلحي والمفاهيمي، ولعل المتفحص للتراث العربي يكتشف بسهولة غزارة المصطلحات اللسانية فيه، فقد تطرق أعلامه بالبحث والدراسة للكثير من المصطلحات التي تعكف اللسانيات الحديثة على دراستها ومعالجتها.

ويعتبر مصطلح "المواضعة" من المصطلحات اللسانية التي حظيت بدراسات مستفيضة من قبل أعلام التراث العربي أمثال: ابن جني، الفارابي، القاضي عبد الجبار، الخفاجي، الغزالي، الرازي...، حيث تبنّوها كإحدى نظريات نشوء اللغة.

لذلك، تحاول هذه الدراسة قراءة مفهوم هذا المصطلح في التراث العربي من خلال كتاب **"التفكير اللساني في الحضارة العربية"** للدكتور عبد السلام المسدي، وكذلك البحث في مفهومه في اللسانيات الحديثة لاكتشاف مدى خصوبة مصطلح "المواضعة" في التراث العربي. واستخلاص مفهوم موحد لمصطلح "المواضعة" يجمع بين جهود أعلام التراث العربي وأعلام اللسانيات الحديثة في تحليلاتهم ودراساتهم لهذا المصطلح، هادفة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- **كيف فهم أعلام التراث العربي مصطلح "المواضعة"؟ وما هي أهمّ النتائج المترتبة عن دراساتهم وتحليلهم لمفهوم "المواضعة"؟**
- **ما هو مفهوم "المواضعة" الذي يمكن استخلاصه من تحليلاتنا لدراسات العلماء العرب القدماء واللسانيين في العصر الحديث حوله؟**

2- مصطلح "المواضعة" في التراث العربي:

إن تقصي مفهوم "المواضعة" في التراث العربي يبرز وجود تنوع مصطلحي للدلالة على هذا المفهوم، فقد عبر عنه أعلام التراث العربي بعدّة مصطلحات: كالوضع، التواضع، المواطأة، التواطؤ، الاصطلاح، الاتفاق، التشريع، التواضع الاصطلاحي... وغير ذلك من المصطلحات التي تنتمي إلى هذا المجال المفهومي.

أ- مفهوم المواضعة وعلاقتها باللغة:

تطرق أعلام التراث لهذا المفهوم ضمن تعريفاتهم للغة، حيث عرّفها -اللغة- ابن جني بكونها: "شيئا **اصطلحوا** عليه وترافدوا بخواطرهم وموّاد

حكمهم على عمله وترتيبه وقسمة أنحائه وتقديمهم أصوله وإتباعهم إياها فروعه"

[1]، فهو ينطلق من مقولة المواضعة التي عبّر عنها بالاصطلاح ليعرّف اللغة، إذ يرى بأن الاصطلاح هو أصل نشأة اللغة ووجودها، وعن طريق هذا الاصطلاح والتواضع قام المتواضعون بإنشاء اللغة، واختراع ألفاظها وكلماتها، وتنظيم طريقة تأليفها وتراكيبها، وضبط قوانينها وأسسها، ثمّ يحاول ابن جنّي أن يتصور كيفية حدوث هذا الاصطلاح والتواضع، فيقول: "وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد (منها) سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مسماه، ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره... فكأنهم جاؤوا إلى واحد من بني آدم، فأومئوا إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق..."[2]، لكن هذا التصور قد انتُقد كثيرا، كونه يطرح العديد من التساؤلات، فكيف اتفق الحكماء على الاجتماع؟ وبأي لغة تواصلوا قبل هذا الاصطلاح؟ وكيف اصطلحوا على الألفاظ ذات المعاني المجردة التي تتعذر الإشارة إليها؟ وغير ذلك من التساؤلات التي لا يوجد لها أجوبة مقنعة ضمن هذا التصور.

ويرى الفارابي أن اللغة مثل باقي الأنظمة العلامية، الأصل في نشأتها التواضع والاصطلاح، مشبها إيّاها بنظام الكتابة، حيث يقول: "فكل ما يمكن أن يقال في الألفاظ، فإنّه ممكن أن يقال بعينه في الخطوط، فلما كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ بـ**اصطلاح**، كذلك دلالة الألفاظ على

المعقولات التي في النفس بـ**اصطلاح** و**وضع** و**شريعة**"[3]، ويطرح تصورا لكيفية حدوث هذا التواضع أكثر مقبولية من التصور الذي قدّمه ابن جني، كونه يستند نوعا ما إلى الصدفة والتلقائية في الاتفاق والتواضع، فيقول: "فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا أو لفظة للدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى لذلك فيقع به، فيكونان قد **اصطلحا** و**تواطئا** على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع"[4]، فهو يرى أن المواضعة نشأت نتيجة للحاجة والضرورة، فحاجة المتكلم إلى الإبانة والإبلاغ هي التي دفعته إلى اختراع أسماء للمسميات، وتواطؤ المستمع معه هو الذي يضمن انتشار هذه الأسماء وشيوعها.

أمّا الشهرستاني فقد تنبّه إلى دور المواضعة في اختلاف اللغات، فتبني فكرة المواضعة كفيل بأن يفسر ظاهرة تعدد اللغات البشرية، ذلك أنه لو كانت الأسماء تدّل حقيقة على مسمياتها، لما اختلف أسماء الشيء الواحد باختلاف اللغات، يقول الشهرستاني: بأن الكلام "مختلف بـ**المواضعة** و**الاصطلاح** و**التواطؤ**، حتّى لو تواطأ قوم على نقرات وإشارات ورمزات لحصل التفاهم بها كما حصل التفاهم بالعبارات"[5]، لذلك فاختلاف التسميات والألفاظ للمسمّى الواحد بين اللغات يرجع إلى اختلاف المواضعة والاصطلاح بين أقوامها، وقد أشار إلى هذا المعنى العديد من العلماء، واشترطوا لفهم لغة ما والتواصل بها معرفة تواضعات واصطلاحات قومها، وهذا ما صرّح به الغزالي في قوله: "طريق فهم المراد (هو) تقدم المعرفة بـ**وضع** اللغة التي بها المخاطبة"[6]، وإذا تأملنا في هذا القول بإمكاننا أن نستشف منه -بسهولة- مفهوم **السنن** أو

الشفرة في اللسانيات الحديثة، حيث يستحيل التواصل بين متخاطبين دون وجود سنن مشترك كليا أو جزئيا بينهما، ولذلك فإن المواضعة في أي لغة تسبق استعمال هذه اللغة.

فالأصوات غير المتواضع عليها لا تنتمي إلى اللغة، لأنها لا تدل على شيء، وبالتالي لا تحصل بها أيّ فائدة، وقد عالج القاضي عبد الجبّار هذه القضية معالجة مستفيضة، مستنتجا في الأخير أن المواضعة هي الشرط الذي يجب تحققه في الكلام حتّى يكون مفيدا، لذلك يقرر: "أن الكلام لا يكون مفيدا إلا وقد تقدمت **المواضعة** عليه"[7]، وهو نفس الشيء الذي قرره الخفاجي من خلال قوله: "إن الكلام إنما يفيد **بالمواضعة**"[8]، وذلك لأن الكلام إذا لم يخضع لما تواضع عليه أبناء اللغة، فإن المستمع لن يتمكن من معرفة مقصود المتكلم وفهم مراده، وبذلك لا يترتب عن هذا الكلام منفعة، ولا يحقق تواصلا.

ويحصر القاضي عبد الجبار دور المواضعة في اللغة في وظيفتين أساسيتين، هما: التصحيح والتخصيص، فيقول: "إنها مصححة ومخصصة، لأنها إذا لم تحصل لا يختص بعض الأقوال بأن يصح أن يخبر من بعض، ولا يصح أيضا من المتكلم أن يخبر بالأقوال، لأن مع فقد **المواضعة** وجودَها كوجود الحركات، فهي إذن مصححة ومخصصة، فإذا أراد المخبر أن يخبر بها على الوجه الذي تطابقه المواضعة، فإنما يستعمله في ذلك بما ذكرناه من الإرادة، ولذلك مثال في العقليات واضح لأن الكتابة المحكمة تدل على أن فاعلها عالم، فليس الذي دلّ على ذلك المواضعة المتقدمة، وإنما يدل عليه إحداثه على وجه يطابق **المواضعة**"[9]، إذن فالمواضعة تقوم بدورين مهمين في اللغة، فدورها الأول هو

التصحيح، أي التمييز بين ما هو صحيح وما هو خطأ من الأقوال، فمن المواضعة يستمد الكلام شرعيته، وبها يكون مفيدا. أمّا الدور الثاني لها فهو التخصيص، أي أن تختص عبارات وألفاظ معينة للتعبير عن معانٍ مخصصة. فوجود اللغة من دون مواضعة، كوجود الحركات من دون كلمات، فالحركات من دون كلمات لا تعبر عن شيء.

ب- المواضعة والاعتباطية:

لقد تبيّن لنا فيما سبق كيف فهم التراثيون مصطلح المواضعة، وبيّنوا أثرها في اللغة، وأضحت المواضعة بالنسبة لهم حقيقة قارة لا جدال فيها، وقد كان لذلك دور كبير في فهم العديد من الظواهر اللغوية، ومن أهمّ هذه الظواهر ظاهرة اعتباطية العلامة اللسانية، يقول الدكتور عبد السلام المسدي: "...تمثلت القيمة الأولية لنظرية المواضعة ضمن مطارحة قضايا اللغة داخل الموروث العربي في أنها قادت المفكرين إلى مكاشفة مقولة الاعتباطية اللسانية -أو التعسف الاقتراني-..."[10]، فقد استطاع أعلام التراث العربي أن يفهموا أنّ العلاقة بين اللفظ ومدلوله ليست علاقة منطقية ولا تستند إلى علل يمكن إثباتها باستدلال عقلي، وفي هذا الصدد يقول الغزالي: "لا مجال للعقل في اللغات"[11].

أمّا القاضي عبد الجبّار فإنّه أطنب في مجادلة القائلين بتطابق الدال والمدلول ومناقضة رأيهم، مستدلا على ذلك بأن كل اسم "يصح أن يجعل في اللغة بدله غيره"[12]، فإمكانية نقض المواضعات وتغييرها والتعديل فيها، هو أقوى دليل على اعتباطية العلامة اللسانية، لأن المسلّمات العقلية لا يمكن تغييرها أو التعديل فيها.

وقد انطلق الجرجاني من نظرية المواضعة ليستدل على العلاقة الاعتباطية التي تربط بين اللفظ ومدلوله، حيث يقول: "نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان يؤدي في ذلك إلى فساد"[13]، إذ لا يوجد أي مبرر عقلي يجعل من الحروف ض-ر-ب أولى من غيرها في التعبير عن فعل الضرب، وليس أدل على ذلك من تنوع الألفاظ في اللغات المختلفة التي تعبر عن مدلول واحد، فالفعل ضرب يعبر عنه في الفرنسية بـ: frapper، وفي الانجليزية بـ: hit، وفي الاسبانية بـ: glopear، وفي البرتغالية بـ: pater ...

لقد كان أعلام التراث العربي موفقين في فهم ظاهرة الاعتباطية اللسانية، وقاموا بتفحصها وتحليلها تحليلا دقيقا، حتى أنه يمكن القول بأنهم قد توصلوا إلى **نسبية الاعتباطية اللسانية**، وهو ما نستدل عليه بقول الغزالي: "هذا وقد رأيناهم يضعون الاسم لمعان ويخصصونها بالمحل كما يسمون الفرس أدهم لسواده، وكميتا لحمرته، والثوب المتلون بذلك اللون، بل الآدمي المتلون بالسواد لا يسمونه بذلك الاسم، لأنهم ما وضعوا الأدهم والكميت للأسود والأحمر، بل لفرس أسود وأحمر، وكما سموا الزجاج الذي تقر فيه المائعات قارورة، أخذا من القرار، ولا يسمون الكوز والحوض قارورة وإن قرّ الماء فيه..."[14]. نستنتج من هذا القول أن صاحبه يقر بالاعتباطية اللسانية، لكنّه قد تنبه أيضا إلى أنّ هذه الاعتباطية ليست اعتباطية مطلقة، إذ يوجد كلمات في اللغة ترتبط برابط منطقي -نوعا ما- مع مدلولاتها، لكنها في الوقت ذاته شاذة ولا يمكن القياس عليها، وقدّم مثالا على ذلك (كلمة "قارورة")، ولذلك فإن الاعتباطية في اللغة نسبية وليست مطلقة.

إن الفهم الصحيح للعلاقة التي تربط بين دوال اللغة ومدلولاتها له أهمية كبرى في وضع قوانين اللغة وأنحائها، إذ لا يمكن أن نبرهن على صحة قانون من قوانينها باستدلال عقلي كما هو الحال في العلوم المجردة، بل يجب أن يكون الاستدلال نابعا من اللغة نفسها، وهذا ما حوصله أبو البركات الأنباري في قوله: "ألا ترى أنّ اللغة لما وضعت وضعا نقليا لا عقليا لم يجز إجراء القياس فيها، واقتصر فيها على ما ورد به النقل"[15].

وقد تنبه المؤسسون الأوائل للنحو العربي إلى هذه الحقيقة الهامة، وجعلوا منها أساسا من الأسس التي انطلقوا منها في وضعهم لقوانين اللغة العربية، فكان أول شيء قاموا به هو جمع المادّة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء، ثمّ قاموا باستقرائها واستخلاص القوانين منها، وقد كانوا يستدلون على القوانين المستخلصة باللغة ذاتها، أي بأقوال الفصحاء من أهل اللغة كما هو معروف في جميع مؤلفاتهم الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والبلاغية، وأكده أعلامهم بقولهم: "إن اللغة لا تثبت قياسا"[16]، "لا مجال للعقل في اللغات"[17]... وغير ذلك من الأقوال.

لقد تنبّه أعلام التراث العربي إلى أن تميّز اللغة عن باقي الأنظمة التعبيرية، نابع من خاصية الاعتباطية، فالأنظمة التواصلية التي تربط دوالّها ومدلولاتها علاقات منطقية تقل درجة إبلاغها عن الأنظمة المعتمدة على العلاقات الاعتباطية بين دوالها ومدلولاتها، وقد لخص عبد السلام المسدي هذه الفكرة في قوله: "للناظر أن يشتق قانونا طريفا هو قانون التناسب الطردي بين اعتباطية أي نظام علامي وسعة إبلاغه، وهو ما يفضي إلى القول بأن منطقية العلاقة بين الدال والمدلول تتناسب تناسبا عكسيا مع طاقة النظام

العلامي المعني في الإبلاغ"[18]، وهذه نقطة بالغة الأهمية –قانون التناسب الطردي–، تستوجب منا كباحثين في مجال اللغة عموما والتراث اللغوي العربي خاصة، أن نقف عندها بالدراسة والتحليل، لما تحمله من قيمة علمية هامة قد توصلنا إلى استنتاجات لها أثر بالغ في مسار الدرس اللغوي.

3- مصطلح "المواضعة" في اللسانيات الحديثة:

أ- مفهوم المواضعة:

من أجل التوصل إلى مفهوم واضح لمصطلح "المواضعة" في اللسانيات الحديثة، اطلعنا على مجموعة من المعاجم اللسانية. من بينها: "**معجم المصطلحات الألسنية**" للدكتور مبارك مبارك، حيث ذكر اللفظة الأجنبية "convention" وقابلها بالكلمات العربية: اصطلاح، عرف، مواضعة. ومفهومها هو: ما تواضع عليه مستعملو اللغة من مفردات وأساليب لغوية، أمّا الكلمة: "conventionnalisme" (نظرية المواضعة/ الاصطلاحية)، فإنّها تحيل إلى أنّ الكلمات لا ترتبط بما تدل عليه، وأنّها مجرد اتفاقات بين الناس[19].

فالمواضعة إذن من التواضع وهو الاتفاق والاصطلاح، وهي تدل على ما اتفق عليه أبناء اللغة في لغتهم، سواء كان ذلك بخصوص المفردات، أو بخصوص التراكيب والأساليب اللغوية، ونظرية المواضعة هي القول بأن الكلمات والألفاظ اللغوية لا ترتبط بمدلولاتها ارتباطا حقيقيا، إذ لا يوجد أسباب منطقية وتعليلات عقلية لهذا الارتباط، وإنّما نتج هذا الارتباط عن اتفاقات الناس وتواضعاتهم.

وقد جاء مفهوم "الاصطلاح" في معجم علوم العربية للتونجي، بأنّه: "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. أو هو إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. أو هو لفظ معين بين قوم معينين. ولهذا قالوا: الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[20]. نلاحظ أنّ جميع التعريفات المذكورة هنا تشترك في شيء واحد أو معنى عام وهو: الاتفاق اللغوي بين طائفة أو قوم معينين. فالاصطلاح والتواضع غالبا ما يكون من طرف طائفة بشرية تجمع بينهم لغة واحدة. ثمّ ينقسم هذا المعنى العام إلى قسمين: الأول أنّ الاتفاق مبدئي؛ أي أنّ ناتج الاتفاق هو خلق لفظ جديد ليدل عن معنى معين، ويكون هذا النوع من التواضع هو بداية نشأة اللغة. أمّا الثاني فهو اتفاق يستعمل ألفاظا لغوية مستعملة في تلك اللغة ليحمّلها معاني جديدة، وهو غالبا ما يكون ناتجا عن التطورات العلمية والتكنولوجية.

أمّا دايفد كريستال (David Crystal) فقد عرّف المصطلح "convention" في معجمه:

" A dictionary of linguistics and phonetics" بأنّه: "يحيل في معناه العام إلى الممارسة المقبولة في استعمال اللغة، أو إلى تطوير نماذج من اللغة، لكنه يحمل معنى مقيدا عندما يحيل إلى الطبيعة الاعتباطية بين التعابير اللغوية ومعانيها، فالعلاقة –مثلا– بين كلمة "طاولة" والطاولة (كشيء موجود) هي علاقة تواضعية أو اصطلاحية..."[21]، يفرق هذا التعريف بين معنى عام ومعنى خاص لمصطلح المواضعة، فمعناه العام يركز على الجانب

التداولي للغة، حيث يرى بأنّ كل استخدام مقبول للغة هو تواضع، كما أن تطوير نماذج لغوية -والمقصود هنا هو تحميل كلمات موجودة في اللغة بمعان جديدة- هو أيضا تواضع. أمّا المعنى الخاص فيشير إلى أنّ الأصل في نشأة اللغة هو المواضعة، لذلك فإن العلاقة بين الدوال ومدلولاتها علاقة اعتباطية.

ب- علاقة المواضعة باللغة والاعتباطية:

رأينا من خلال التعاريف السابقة لمصطلح "المواضعة" كيف أنّه يرتبط ارتباطا وثيقا بالاعتباطية اللسانية، وذلك كونهما يخدمان بعضهما البعض، فالدليل على أن اللغة نشأت عن طريق المواضعة والاصطلاح هو اعتباطية العلاقة بين دوال اللغة ومدلولاتها، وسبب اعتباطية العلامة اللغوية هو الاصطلاح والتواضع، إذن ففكرة المواضعة تخدم فكرة الاعتباطية والعكس أيضا صحيح.

هذا، ويعتبر فرديناند دوسوسير من أبرز طور هذين المفهومين في اللسانيات الحديثة، حيث جاء في شرح مفهوم المصطلح: "convention" في معجم "dictionnaire de linguistique" ، أنّ: "فكرة المواضعة طورت من طرف دوسوسير مع تصور الاعتباطية في العلامة اللغوية، في مقابل نظرية الأصل الطبيعي للغة التي ترى بأنّ الدال والمدلول هما نفس الشيء، والتي كانت سائدة قبل ذلك وخاصة عند اليونان"[22]، فقد قام دوسوسير بنقض هذه النظرية التي ترى بأن بداية نشأة اللغة كانت عن طريق محاكاة أصوات الطبيعة، ورأى بأنّ الأصل في نشأة اللغة هو المواضعة والاصطلاح، "فالنظام اللغوي -على حدّ تعبير دوسوسير نفسه- نظام من الأدّلة المتواضع عليها، أي المصطلح عليها"[23].

فالمواضعة إذن هي أساس اللغة -طبعا بالإضافة إلى الاستعمال-، إذ تحدد المواضعة ما هو صالح وما هو غير صالح في الاستعمال اللغوي، ،كما تحدد مقبولية الرموز اللغوية، وبالتالي فإن تستمدّ اللغة منه مشروعيتها في المجتمع من خلال الاتفاق والتواضع.

وليست اللغة هي نظام التعبير الوحيد الذي يعتمد على المواضعة، بل إنّ أغلب أساليب التعبير البشرية تستمد مشروعيتها من مبدأ المواضعة، وفي ذلك يقول دوسوسير: "بل إن كل وسيلة من وسائل التعبير التي يستخدمها المجتمع تعتمد -في جوهرها- على السلوك الجماعي، أو على شيء يشبه ذلك، وهو العرف convention..."[24]، فلولا اتفاق المجتمع على أنّ علامات أو رموز أو إشارات معينة تشير إلى معانٍ محددة، لما تمكن المخاطب من فهم المعنى الذي يقصده المتكلم من تلك العلامات أو من تلك الرموز والإشارات، وبالتالي لما وجدت أي فائدة من هذه الوسائل التعبيرية التي يستخدمها المجتمع أساسا من أجل التواصل.

ولما كانت المواضعة هي الأصل في نشأة اللغة، كانت العلاقة بين دوال اللغة ومدلولاتها علاقة غير منطقية، فهي لا تستند إلى تبرير عقلاني، ولذلك فإن: "الإشارة اللغوية اعتباطية، ففكرة الأخت لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات s-o-r التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية، فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها بأي تعاقب صوتي آخر، وخير دليل على ذلك اللغات المختلفة"[25].

وتحتل الاعتباطية نفس القدر من الأهمية الذي تحتله نظرية المواضعة بالنسبة للغة، فمبدأ الاعتباطية هو مبدأ أساسي يساعدنا على فهم الظاهرة

اللغوية فهما صحيحا، لذلك ركّز دوسوسير على أهمية دراسة الظواهر اللغوية من وجهة نظر تحديد الاعتباطية، لأنّه يرى أنّ: " النظام اللغوي بأجمعه يستند إلى هذا المبدأ غير المنطقي، وهو اعتباطية الإشارة"[26]، فليست العلاقة بين الدوال والمدلولات هي العلاقة الاعتباطية الوحيدة في اللغة، بل إنّ كل ما في اللغة تحكمه علاقة اعتباطية نوعا ما، كالنظام الصرفي والنظام النحوي والنظام البلاغي...، لذلك يمكن أن نتكلم عن الاعتباطية اللغوية بدل من اعتباطية العلامة اللغوية فقط.

ولكن، يجب التنبيه إلى أنّه توجد اعتباطية نسبية واعتباطية مطلقة، إذ: "أن بعض الإشارات اعتباطي مطلق، ونلاحظ أن بعضها الآخر يتميز بدرجات من الاعتباطية: فقد تكون الإشارة محفزة motivated نسبيا. فكلمة vingt الفرنسية غير محفزة، وكذلك كلمة dix-neuf، ولكن ليس بدرجة واحدة"[27]، وتختلف اللغات في نسبة التحفيز فيها. كما أن المصطلح العلمي المتخصص يتميز بانخفاض نسبة الاعتباطية وارتفاع نسبة التحفيز فيه، نظرا لأن توليد المصطلحات العلمية يخضع إلى مجموعة من المعايير، بل إن بعض الباحثين يرون بأنه لا اعتباطية في المصطلحات العلمية، حيث يقول أحدهم: "أن وضع المصطلح لا يخضع إلا للمعيارية، ولا مجال فيه للاعتباطية"[28].

4- خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة إضاءة جوانب من مفهوم المواضعة في التراث العربي واللسانيات الحديثة على حدّ السواء، ويمكن أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

- تعتبر المواضعة من أهم النظريات التي تفسر كيفية نشأة اللغة قديما وحديثا.
- لقد استحوذ مفهوم المواضعة على اهتمام كثير من أعلام التفكير اللساني التراثي العربي، فقد حظيت بدراسات ثرية ومتنوعة، أفضت إلى التوصل إلى نتائج قيمة، مثل:
  - تحديد مفهوم دقيق للمواضعة.
  - اكتشاف أهمية المواضعة في اللغة.
  - التوصل إلى مبادئ مهمة من خلال مقولة المواضعة، كمبدأ الاعتباطية ومفهوم الشيفرة اللغوية، وقانون التناسب الطردي بين اعتباطية أي نظام علامي وسعة إبلاغه.
- وقد توصلنا من خلال تحليلنا لمفهوم المواضعة قديما وحديثا، إلى النتائج التالية:
  - تعرف المواضعة بأنها الاتفاق اللغوي بين طائفة معيّنة على تحميل ألفاظ محددة معان مخصصة.
  - اختلاف اللغات يرجع في الأصل إلى الاختلاف في مواضعات أهلها، لذلك من الضروري الإلمام بمواضعات لغة ما للتمكن من استعمالها، وهذا ما يحيل إلى مفهوم الشيفرة code في اللسانيات الحديثة.

- إفادة الكلام مقترنة بتقدم المواضعة عليه، وصحته مشترطة بخضوعه لها، فالمواضعة تعمل على تحقيق مبدأي التصحيح والتخصيص في اللغة والكلام.
- من أهم النتائج المترتبة عن تبني نظرية المواضعة اكتشاف وتفسير الاعتباطية اللغوية.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، أهمية هذا المجال البحثي، لذلك نوصي بتكثيف الدراسات التي تعمل على استخراج القيم المعرفية من التراث العربي، من خلال تحليل المفاهيم والمصطلحات اللسانية الواردة في مدوناتهم ومؤلفاتهم، وتسخيرها لبناء مفاهيم لسانية عربية، تتسم بالأصالة وتواكب تطورات البحث اللساني في العصر الحديث.

مصادر ومراجع البحث:

الكتب:

1. أبو البركات الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدّلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2،1981م، بيروت، لبنان.
2. ابن جنّي، الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1.
3. الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982م، بيروت، لبنان.
4. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط2، 2006م، الجزائر.
5. الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، تح: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، 2009م، القاهرة، مصر.
6. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد:

- المجلد السابع: خلق القرآن، تح: إبراهيم الأبياري بإشراف طه حسين، دون معلومات الطباعة.
- المجلد الخامس عشر: التنبؤات والمعجزات، تح: محمود مُحَمَّد قاسم بإشراف طه حسين، دون معلومات الطباعة.

7. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2،1986م.
8. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود مُحَمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، 2004م، القاهرة، مصر.
9. الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة).
10. الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، ط1، 1986م،بيروت، لبنان.
11. فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، 1985م، بغداد، العراق.
12. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995، بيروت، لبنان.
13. مُحَمَّد التونجي، معجم علوم العربية، دار الجيل، ط1، 2003م.
14. David Crystal, A dictionary of linguistics and phonetics, Blackwell publishing, sixth edition, 2008.
15. Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique, Larouse Bordas, 2éme ed, 2002.

المقالات:

1. مبارك لخضر تريكي، "معركة المفاهيم بين الغرب والإسلام: دراسة تقويمية في مصطلح الأوورومتوسطي"، ديوان العرب، السبت 27 أيلول (سبتمبر) 2008، www.diwanalarab.com.

الهوامش:

[*] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.

[1] ابن جنّي، الخصائص، تح:مُحَمَّد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، ص244-245.

[2] نفسه، ج1، ص44.

[3] الفارابي، شرح العبارة، ص 27، (نقلا عن: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص119).

[4] الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، ط1، 1986م،بيروت، لبنان، ص137.

[5] الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، تح: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، 2009م، القاهرة، مصر، ص313.

[6] الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة)ج3، ص30.

[7] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: إبراهيم الأبياري بإشراف طه حسين، ج7 (خلق القرآن)، ص92.

[8] الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982م، بيروت، لبنان، ص34.

[9] القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: محمود مُحَمَّد قاسم بإشراف طه حسين،ج15 (التنبؤات والمعجزات)، ص324 .

[10] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص116.

[11] الغزالي، المستصفى، ج3، ص136.

[12]القاضي عبد الجبار، المغني (سابق)،ج7 (خلق القرآن)، ص164.

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود مُحَمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5،

[13]2004م، القاهرة، مصر، ص49.

[14] الغزالي، المستصفى، ج3، ص13-14.

[15] أبو البركات الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدّلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2،1981م، بيروت، لبنان، ص99-100.

[16] ابن خلدون، المقدمة،

[17] الغزالي، المستصفى، ج3، ص136.

[18] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص116.

[19] ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995، بيروت، لبنان، ص64-65.

[20] مُحَمَّد التونجي، معجم علوم العربية، دار الجيل، ط1، 2003م، ص59.

[21] David Crystal, A dictionary of linguistics and phonetics, Blackwell publishing, sixth edition, 2008, p113.

[22] Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique, Larouse Bordas, 2éme ed, 2002, p119.

[23] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط2، 2006م، الجزائر، ص17.

[24] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، 1985م، بغداد، العراق، ص 87.

[25] نفسه، ص87.

[26] نفسه، ص152.

[27] نفسه، ص151.

[28] مبارك لخضر تريكي، "معركة المفاهيم بين الغرب والإسلام: دراسة تقويمية في مصطلح الأورومتوسطي"، ديوان العرب، السبت 27 أيلول (سبتمبر) 2008، www.diwanalarab.com (25.03.2017 ، 14:57).